جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

# من البلاغة القرآنية
# في
# قصتي أصحاب الجنات

## دراسة تطبيقية

دكتور
**عبد الغفار يونس صديق**
مدرس البلاغة والنقد بالكلية

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــد:

فهذا بحث بلاغي عنوانه: "من البلاغة القرآنية في قصتي أصحاب الجنات" تناولت فيه قصتي أصحاب الجنات في سورتي: الكهف، والقلم مبرزًا الجانب البلاغي ومظهرًا عظمة القرآن، وجمال تراكيبه، وحسن نظمه وجودة سبكه، وروعة أدائه.

هذا وقسَّمت البحث إلى فصلين:

(الأول) وعنوانه: من البلاغة القرآنية في قصة صاحب الجنتين. (دراسة تطبيقية).

(والثاني) وعنوانه: من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنة. (دراسة تطبيقية)

وقد كان منهجي في البحث كالتالي:

"أبدأ بذكر ملخص للقصة، وأذكر مناسبتها لما قبلها، ثم أذكر نصَّ الآيات، ثمَّ أتناول القصة بالتحليل مبتدئًا بذكر المعاني اللغوية، ثم المعنى العام، ثم ما فيه من فنون البلاغة وأساليب البيان، وقد

تناولت ذلك في فقرات ليسهل تحصيل الفائدة، وعقدت في نهاية البحث خاتمة ضمنتها أهم الفوائد، وفهرسًا للموضوعات، وآخر للمراجع.

والله أسأل أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بقبول حسن

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

**دكتور/ عبد الغفار يونس صديق**

مدرس البلاغة والنقد بالكلية

# الفصل الأول

# من البلاغة القرآنية في قصة صاحب الجنتين

دراسة تطبيقية

## بيـن يـدي القصــة

لما افتخر الكفار بأموالهم وأنصارهم علي فقراء المسلمين، بين الله تعالي أن ذلك مما لا يوجب الافتخار ؛ لاحتمال أن يصير الفقير غنياً والغني فقيراً، أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته ، وهي حاصلة لفقراء المؤمنين ، وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآيات ، وهو قصة رجلين اختلف العلماء في اسمهما وتعينهما ، جعل الله لأحدهما جنتين من كروم متنوعة ، وأحاطهما بنخل ليكون كالحماية النافعة لهما ، وجعل بينهما زرعاً لتكونا جامعتين للأقوات والفواكه مشتملتين علي ما من شأنه أن يشرح الصدر، ويفيد الإنسان متباعدتي الأكناف ومع ذلك لم يتوسطهما ما يقطع بينهما وقد آتت كلتا الجنتين ثمارهما التي يأكلها الناس من العنب والثمر ، وغيرهما من صنوف الزرع ، ولم تنقص منه شيئا عن مقدار ما تعطيه الأشجار في حال الخصب في سائر السنين ، بل كان أكل كل واحدة منهما وافياً كثيراً في كل عام، علي خلاف ما جرت به عادة البساتين ، فأنها في الغالب تكثر ثمارها في أحد الأعوام وتقل في عام أخر ، وفجر الله بين هاتين الجنتين نهرا ليمدهما بما يحتاجان إليه من ماء بدون عناء وتعب ، وكان لصاحب هاتين الجنتين أموال وثمار كثيرة لدوام إثمار جنتيه، فأغتر هذا الرجل ، وأفتخر بما وهبه الله له وقال لصاحبه المؤمن حينما وعظه ودعاه إلي الإيمان بالله والبعث أنا أكثر منك مالا

وأعز منك عشيرة وحشماً وأعوانا ، ولم يكتف بهذا بل زاد في غروره وغطرسته، وأظهر له كثرة ماله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه معجباً بما أوتي مفتخراً به كافراً لنعمة ربه ويقول أني لا أعتقد أن هذه الجنة تهلك وتفني بل هي باقة علي حالها من الحسن والنضارة مدة حياتي ، كما أعتقد عدم قيام الساعة ، ولئن رددت إلي ربي – كما أخبرتني – لأجدن خيراً من هذه الجنة مرجعاً وعاقبة ، فأنكر عليه صاحبه ذلك وقال له متعجباً أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم سواك رجلاً معتدلاً ذا صورة وهيئة حسنة ، فإن كنت كذلك فإني لست بكافر ولكني أنا مؤمن أعترف بالله بالعبادة والطاعة ، وأقر له بالوحدانية ، ولا أشرك معه أحداً من خلقة لا في الربوبية ولا في الألوهية ، ولا في الذات ولا في الصفات .

ثم حضه علي اعتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها فقال : " ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله "

وإن كنت تراني أقل منك مالاً وولداً وأنصاراً في الدنيا الفانية، فأني أرجو ربي أن يؤتين خيراً من جنتك في الدنيا وفي الآخرة ، ويرسل علي جنتك حسبانا من السماء كالصواعق وغيرها فتصبح عديمة النفع من كل شيء ، حتى من المشي عليها ، أو يغور ماؤها، ويتلف كل ما فيها من الشجر والزرع ، ولن تستطيع طلبه أو طلب غيره بدلاً منه ؛ لأنه لا يقدر علي ذلك إلا الله ﷻ .

فحدث ما رجاه الرجل المؤمن ، وأحاط عذاب الله بجنتيه ، وهلكت أمواله ، وأبيدت بأكملها ، فصار يقلب كفيه ظهراً لبطن أسفاً وندماً علي ما أنفق في عمارتها وتزيينها من أموال كثيرة ضاعت هباءً ، ومن جهد كبير ذهب سدى ، وهي ساقطة متهدمة علي دعائمها ، وعلي سقوفها ، وخالية من كل ما اشتملت عليه ويقول متلهفاً : يا ليتني عرفت نعم الله علي ، عرف أنها كانت بقدرته ولم أكفر به ، وهذا ندم منه حين لا ينفع الندم ، ولم تكن لهذا المغرور الجاحد بعد أن دمرت جنته ، وذهب كل ما يملك عشيرة وأعوان ينصرونه ، ويدفعون عنه ما حل به ، وما كان هو منتصراً بنفسه ، فقد حجب الله عنه كل وسائل النصرة ، بسبب جحده وغروره وكفره بالله ؛ لأن في هذه الحالة ، وذلك المقام تكون النصرة لله وحده لا يملكها غيره ، ولا يستطيعها أحد سواه ، فهو الذي ينصر أولياءه المؤمنين علي الكفرة ، وينتقم لهم ، ويشفي صدورهم من أعدائهم ، فهو خير إثابة وإعفاء لأوليائه ، وخير عاقبة لمن تاب وأمن وعمل صالحاً ثم أهتدى .

# بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدهمَا جَنَّتَيْنِ منْ أَعْنَاب وَحَفَفْنَاهُمَا بنَخْل وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلمْ منْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خلالَهُمَا نَهرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لصَاحبه وَهُوَ يُحَاورُهُ أَنَا أَكْثَرُ منكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالمٌ لِّنفْسه قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبيدَ هَذه أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائمَةً وَلَئن رُّددتُّ إِلَى رَبِّي لأَجدَنَّ خَيْرًا منْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحبُهُ وَهُوَ يُحَاورُهُ أَكَفَرْتَ بالَّذي خَلَقَكَ من تُرَاب ثُمَّ من نُّطْفَة ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ برَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتيَن خَيْرًا مِّن جَنَّتكَ وَيُرْسلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبحَ صَعيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحيطَ بثَمَره فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْه عَلَى مَا أَنفَقَ فيهَا وَهيَ خَاويَةٌ عَلَى عُرُوشهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَني لَمْ أُشْرِكْ برَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فئَةٌ يَنصرُونَهُ من دُون اللَّه وَمَا كَانَ مُنتَصرًا (٤٣) هُنَالكَ الْوَلاَيَةُ للَّه الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

**الفقـــــرة الأولـــــي:**

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَاب ﴾

**المثل في اللغة** : الشبيه و النظير، وهو في عرف القرآن الكريم الكلام البليغ المشتمل علي تشبيه بديع.

**وضرب المثل** : إيراده، وعبر عن إيراده بالضرب لشدة ما يحدث عنه من التأثير في نفس السامع(١)

" وَاضْرِبْ " هنا متعد لمفعولين ؛ لأنه مع المثل، والتقدير واضرب لهم مثلا مثل رجلين واللام في ( لهم ) يجوز أن يتعلق بـــ ( اضرب ) كقوله تعالي : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (٢) وعليه يكون الضمير فيه عائداً إلي المشركين من أهل مكة ، ويجوز أن يتعلق بـــ " مثلاً " تعلق الحال بصاحبها أي شبها لهم للفريقين ، كما في قوله تعالىّ ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ (٣)

وعليه يكون الضمير فيه عائداً إلي جماعة المؤمنين والكافرين.

و الوجه أن يكون متنازعاً فيه ن بين "ضرب"، ومثلاً"(٤).

---

(١) التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ج ٨ ص ٥١٣ ، طبعة دار المعارف ١٩٩٣ م

(٢) سورة الروم جزء من الآية ٢٨

(٣) سورة النحل جزء من الآية ٧٤

(٤) ينظر تفسير التحرير و التنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور حـــ ١٥ صـــــ ٣١٥، ٣١٦ ، طبعة الدار التونسية بدون تأريخ

و"جعلنا " جملة تفسيرية لـ " مثل " لا محل لها من الإعراب ويجوز أن تكون في موضع نصب نعتاً لـ " رجلين " كقولك : مررت برجلين جعل لأحدهما جنة[١]

ولم يعين سبحانه مكان الجنتين ، لأنة لم يتعلق بهذا التعيين غرض.

**والمعني** : واضرب - أيها الرسول الكريم - مثلاً للمؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجه، و للكافرين الذين غرتهم الحياة الدنيا، ليهلك من هلك عن بينة، و يحيا من حي عن بينة، رجلين جعلنا لأحدهما وهو الكافر بستانين من كروم متنوعة.

" والمراد ضربهما مثلاً للفريقين المؤمنين و الكافرين، لا من حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر آنفا، بل من أن للمؤمنين في الآخرة كذا، وللكافرين فيها كذا، من حيث عصيان الكفرة مع تقلبهم في نعم الله، وطاعة المؤمنين مع مكابدتهم مشاق الفقر"[٢]

هذا وأول ما يطالعنا من فنون بلاغية في هذه الآية الكريمة هذا الوصل بين جملة" واضرب لهم مثلاً رجلين " وجملة " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم : " لاتفاقهما في الإنشائية لفظا ومعني، مع وجود المناسبة التامة بينهما، وهي الاتحاد بين المسند إليه،

---

(١) ينظر : الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، جـ ٧ ص ٤٨٦ ، طبعة دار القلم دمشق ، الطبعة الأولي ١٩٩١م .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ح١٥ ص ٢٧٣ طبعة إدارة الطباعة المنيرية ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ.

والتماثل في المسند، وليس هناك ما يمنع من العطف، وهو ما يسمي عند البلاغيين بالتوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

وقد اشتمل هذا الوصل علي محسنين من محسنات الوصل التي تكسبه حسناً وجمالاً ، وتكسوه رونقاً وبهاءً وهما :-

اتفاق الجملتين في الفعلية وفي نوع الفعل من حيث كونه أمراً، واتفاقهما في الإطلاق فالجملتان متفقتان في الخلو من القيود.

وثاني هذه الفنون البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة هذا التمثيل الرائع الذي صور فيه رب العزة _ جل وعلا _ حالة أولئك الكافرين المغترين بزينة الحياة الدنيا بحالة رجلين أحدهما مؤمن طائع لربه، والآخر كافر مغتر معجب.

فكانت عاقبة المؤمن الطائع النجاح والفوز، وكانت عاقبة الآخر التباب والخسران. ليظهر للفريقين ما يجلبه الغرور والإعجاب علي صاحبه من الأرزاء،وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنة الله في كونه، من التذكير والتدبر في العواقب، فيكون معرضا للصلاح والنجاح.

وهو تمثيل محس بمحس إن كان حال الرجلين حالاً معروفا، وهو الأظهر.

يقول الطاهر بن عاشور والأظهر- من سياق الكلام وصنع التراكيب مثل قوله : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ الخ فقد جاء " قال" غير مقترن بفاء وذلك من

شأن حكاية المحاورات الواقعة، ومثل قوله :" ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتظراً أن يكون هذا المثل قصة معلومة، ولأن ذلك أوقع في العبرة والموعظة مثل المواعظ بمصير الأمم الخالية" (١)

أما إن كان حال الرجلين حالاً مفروضا متخيلا، كما جوز بعض المفسرين(٢) فهو أيضاً تشبيه محس بمحس لأن التشبيه الخيالي وهو مالا تدركه الحواس بذاته، ولكن تدرك مادته، داخل في التشبيه الحسي؛ لأن الحسي "هو ما يدرك بذاته أو بمادته بإحدى الحواس الخمس(٣)

وهذا التشبيه صورة المشبه به فيه لا تدرك بالحس، لعدم وجودها خارج الأعيان، وإنما تدرك مادتها وهي" الرجلين والجنتين بما فيهما"

يقول ابن عطية "وتأمل هذه الهيئة التي ذكرها الله تعالي فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس" (٤)

﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ يقال : حف بالشيء : أحاط به من جميع جوانبه . قال النابغة:

---

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ١٥ صـ ٣١٧ .
(٢) ينظر:- الجامع لإحكام القرآن جـ١٠ص٤١٠،تفسير التحرير والتنوير جـ١٥ ص٣١٦.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القز ويني ص١٢٤ طبعة محمد علي صبيح ١٩٧١م
(٤)

يحفه جانبا نيــق وتتبعـــــه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد[١]

وحف به القوم : أحاطوا به، قال تعالي : ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [٢] أي واقفين حول العرش محيطين به.

وهو يتعدى إلي مفعول واحد ، فإذا أريد تعديته إلي ثان عدي إليه بالباء، مثل : غشيه وغشاه بكذا.

والمعني وأحطناهما بنخل، ليكون كالحماية النافعة لهما.

وهذا بيان لما أضيف إلي الجنتين من مناظر تزيدهما بهجة وفائدة .

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ أي جعلنا وسط الجنتين زرعا وبذلك تكون الجنتان جامعتين للأقوات والفواكه، مشتملتين علي ما من شأنه أن يشرح الصدر، ويفيد الناس، متباعدتي الأكناف ، ومع ذلك لم يتوسطهما ما يقطع بينهما.

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ كلتا: اسم مفرد اللفظ مثني المعني عند البصريين، ومثني لفظا ومعني عند غيرهم؛ لذلك يجوز في خبرها- هي ومذكرها كلا - الإفراد إتباعا للفظ وهو الأفصح كما في هذه الآية ، ويجوز تثنيته أتباعا لمعناه[٣] كما في قول الفرزدق في صفة فرسين.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتحقيق كرم البستان ص ١٥، طبعة دار صادر يرون، والنيق : الجبل . ومثل الزجاجة أي : عينا صافية.
(٢) سورة الزمر جزء من الآية ٧٥ .
(٣) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام ح١ص١٧٢ طبعة دار إحياء الكتب العربية بدون تأريخ .

كلاهما حين جد الجري بينهما قد اقلعا وكلا أنفيهما رابي[١]

لذا يصح في غير القرآن أن نقول : كلتا الجنتين آتتا أكلها حملا علي المعني .

وهذه قراءه الجمهور، وورد في مصحف عبد الله " كلا الجنتين" بالتذكير؛ لأن تأنيث الجنتين مجازي ، ثم قرأ آتت بالتأنيث حملا علي اللفظ فهو نظير قولهم : طلع الشمس وأشرقت[٢]

والأكل بالضم ثمر النخل والشجر ، وكل ما يؤكل فهو أكل ، قال تعالي " أكلها دائم "

وهذه الجملة معترضة بين الجمل المتعاطفة ، وهي كنايه عن تمام الجنتين الدائم، فكلتا الجنتين أعطت ثمارهما التي يأكلها الناس من العنب والتمر وغيرهما من صنوف الزرع .

﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أي لم تنقص . والظلم النقصان يقال: ظلم فلان فلانا حقه، نقصه ومنه قول الشاعر في ابنه:

تظلمني مالي كذا ولوي يدي لوي يده الله الذي هو غالب

والمعني لم تنقص من أكلها شيئا عن مقدار ما تعطيه الأشجار في حال الخصب، في سائر السنيين بل كان أكل كل واحدة منهما

---

(١) ديوان الفرزدق تحقيق كرم اليستاني ج٢ص ٧٠ طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ جد عظم ، أقلعا :تركا الجري رابي : منتفخ من الجري

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٦ ص١٢٤ طبعة دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨م ، الدار المصون ح ٧ ص٤٨٦ .

وافيا كثيراً في كل عام، علي خلاف ما جرت به عادة البساتين، فإنها في الغالب تكثر ثمارها في أحد الأعوام، وتقل في عام آخر .

ففي الآية إيجاز بحذف المضاف ، والتقدير ، ولم تظلم من مقدار أمثاله .

وفيها أيضا استعادة تمثيلية حيث شبهت هيئه صاحب الجنتين في إتقان خبرهما ،وترقب أثمارهما ، بهيئة من صار له حق في وفرة غلتها بحيث إذا لم تأت الجنتان بما هو مترقب منهما أشبهتا من حرم ذا حق حقة فظلمه ، فاستعير الظلم لإقلال الإغلال ، واستعير نفيه للوفاء بحق الاثمار .

﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾ التفجير : مصدر فجر بالتشديد مبالغة في الفجر، وهو الشق باتساع.

ومنه سمي الصباح فجرا ، لأن الضوء يشق الظلمه شقا طويلا عريضا ، فالتفجير أشد من مطلق الفجر ، وهو تشقيق شديد باعتبار اتساعه ولذلك ناسب النهر.(١)

و"خلال" منصوب علي الظرفية بمعني وسط وبين، ومنه يقال: خللت القوم أي دخلت بين القـــوم ، قال تعالي : ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾(٢) والنهر – بتحريك الهاء – لغة في النهر بسكونها .

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ١٥ص ٢٠٧ .
(٢) سورة التوبة جزء من الآية ٤٧.

والمعني : وشققنا في وسطهما وبينهما نهراً ليمدهما بما يحتاجان إليه من الماء ، بدون عناء وتعب.

يقول الزمخشري : " جعلها أرضا جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ، ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب ، فجعله أفضل ما يسقي به، وهو السيح بالنهر الجاري فيها ."(١)

ثم بين – سبحانه – أن صاحب هاتين الجنتين كانت له أموال أخري غيرهما فقال ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ جملة في موضع الحال من " لأحدهما " وقد وردت في هذه الآية ثلاث قراءات(٢)

أولها : قراءة الضم " ثمر " بضم الثاء والميم ، وهذه القراءة تحتمل أربعة أوجه:

الأول : أنه اسم مفرد كطنب(٣) وعنق .

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج ٢ص ٤٨٤طبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٩٦٦م.

(٢) ينظر : البحر المحيط ح٦ص١٢٥، الجامع لأحكام القرآن ح ١٠ص ٤٠٣تفسيرالتحرير و التنوير ح١٥ ص٣١٩ ، الدر المصون ح٥ص ٨١،٨٠.

(٣) الطنب : حبل يشد به الوتد .

الثاني : أنه جمع الجمع فثمر جمع ثمار ، وثمار جمع ثمرة ، وذلك نحو أكم جمع إكام . وإكام جمع أكمه ، فهو نظير كثبان وكثب .

الثالث :- أنه جمع ثمر كما قالوا : أسد وأسد.

الرابع :- أنه جمع ثمرة ، كخشبه وخشب ونظير ناقة ونوق .

والثمر : المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع، وهو مأخوذ من ثمر ماله بالبناء للمفعول ، يقال : ثمر الله ماله ، إذا كثر قال النابغة:

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد[1]

وعلـــيه يكون المعني : أنه كان لصاحب هاتين الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة والأنعام وغير ذلك .

ثانيها : قراءة التسكين " ثمر "يضم الثاء وتسكين الميم ، وهي تخفيف لقراءة الضم ، وقيل بل هي جمع ثمرة كبدن وبدنة.

ثالثها : قراءة الفتح " ثمر" بفتح الثاء والميم .

والثمر: اسم جنس مفرده ثمرة كشجر وشجرة ، وبقر وبقرة.

وعليه يكون المعني : أنه كان لصاحب هاتين الجنتين ثمر كثير ، لدوام إثمار جنتيه.

---

(١) ديوانه ص١٧.

وبعد أن عدد المولي – سبحانه وتعالي – صفات الجنتين، قص لنا ما حدث بينهما من حوار فقال " فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ "الفاء لتفريع جمله (قال) علي الجمل السابقة ، لان ما تضمنته الجمل السابقة من شأنه أن ينشأ عنه غرور بالنفس ، ينطق ربه عن مثل ذلك القول "والصاحب " هنا بمعني المقارن في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل أو أريد به الملابس المخاصم ، كما في قول الحجاج يخاطب الخوارج " ألستم أصحابي بالأهواز "

والمراد بالصاحب هنا الرجل الآخر من الرجلين أي فقال من ليس له جنات في حوار بينهما ، ولم يتعلق الغرض بذكر مكان هذا القول ، ولا سببه لعدم الاحتياج إليه في الموعظة(١)

وجملة"وهو يحاوره" حال من ضمير قال ، وهي حال مبينه ؛إذ لا يلزم من القول المحاورة والمحاورة مراجعة الكلام من جانبين أو أكثر ، من حار ، أي رجع يقال تحاور القوم إذا تراجعوا الكلام فيما بينهم ويقال كلمته فما أحار إلي جوابا ، أي :ما رد جوابا ،قال تعالي: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾(٢)

وقال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع(٣)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ح١٥ص٣١٩ .
(٢) سورة " الانشقاق الآية "١٤.
(٣) ديوان لبيد بن ربيعه ص١٦٩طبعة دار صادر بيروت،بدون تأريخ .

وقد أفادت جملة الحال التنبيه من أول الأمر علي إن ما يتلو كلام معتني بشأنه مسوق للمحاورة.

والضمير المنفصل عائد إلي صاحب الجنتين ، أما الضمير المنصوب في "يحاوره" فعائد إلي صاحبه.

والمعني أن صاحبه كان يعظه ويدعوه إلي الإيمان بالله والبعث فراجعه فالفخر عليه ، والتطاول شأن أهل الغطرسة والغرور أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلي إظهار العظمة والكبرياء فقال:

﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أعز أفعل تفضيل أي أشد عزة، والعزة : ضد الذل ، وهي كثرة عدد عشيرة الرجل وشجاعته.

والنفر: من ينفر مع الرجل من قومه وعشيرته لقتال عدوه وأراد بهم هنا ولده، كما دل علية مقابلته في جواب صاحبة يقول:"إن ترن أنا اقل منك مالا وولدا"(١)

و"مالا و"نفرا" منصوبان علي التمييز بعد أفعل التفضيل

والمعني أن صاحب الجنتين قال لصاحبه المؤمن أنا أكثر منك مالاً وأعز منك عشيرة وحشماً وأعوانا ، ولم يكتف بهذا بل زاد في غروره و غطرسته ، وأظهر له كثرة ماله .

(١) ينظر :تفسير التحرير والتنوير ص١٥:ص٣٢٠.

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ وعلة إفراد الجنة هنا مع إنهما جنتان يوضحها الزمخشري فيقول"فان قلت :لم أفرد الجنة بعد التثنية؟ قلت : معناه : ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها ، بمعني : أنه ليس له نصيب في الجنة التي وعد المتقون ، فما ملك في الدنيا هو جنته لا غير ، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما"(١)

إلا أن أبا حيان لم يرتض هذه العلة حيث قال : ولا يتصور ما قال لأن قوله : " ودخل جنته إخبار من الله تعالي بدخول ذلك الكافر جنته، فلا بدأن قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنتيه ، إذ لا يمكن أن يدخلهما معا في وقت واحد"(٢)

وتتبع السمين الحلبي أبا حيان قائلا : " قلت : ومتى ادعي دخولهما في وقت واحد حتى يلزمه بهذا المستحيل في البداية(٣)

ويري أبو البقاء العكبري " أن العلة في الإفراد هنا هي الاكتفاء بالواحد للعلم فيقول : إنما افرد لأنهما جميعا ملكه فصارا كالشيء الواحد".

كما اكتفي بالواحد عن الجمع في قول الهزلي:

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع(٤)(٥)

---

(١) الكشاف ج٢ ص٤٨٤ .
(٢) تفسير البحر المحيط ج٦ص١٢٥ .
(٣) الدر المصون ج ٧ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .
(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري ج ٢ص١٠٢،طبعة مصطفي البابي الحلبي بدون تاريخ .
(٥) ديوان الهذليين ج١ص٣، نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة

والحقيقة أن هذا قياس مع الفارق ،لأنه إنما جاز ذلك للهزلي لأن جمع التكسير يجري مجري المؤنثة ،فالضمير في " سملت " وفي " فهي " يعود علي الحداق لاعلي حدقة واحدة كما ظن العكبري[١]

ويذكر لنا الشهاب علة أخري فيقول : " وأفرد الجنة هنا مع أن له جنتين ؛ لنكتة وهي أن الإضافة تأتي بمعني اللام ، فالمراد بها العموم والاستغراق ،أي كل ما هو جنة له ، يتمتع بها ،فيفيد ما أفادته التثنية مع زيادة وهي الإشارة إلي أنه لا جنة له غير هذه ؛ولذا عبر بالموصول الدال علي العموم فيما هو معهود"[٢]

وجملة "وهو ظالم " في موقع الحال من فاعل "دخل" و"لنفسه" مفعول " ظالم " واللام مزيدة فيه لكون العامل فرعا عن الفعل.

والمعني :أن صاحب الجنة دخل بصاحبه جنته، وهو معجب بما أوتي ، مفتخر به ،كافر لنعمة ربه ، معرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم[٣] [٥]

﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ والظن بمعني الاعتقاد وتبيد: تهلك وتفني يقال : باد الشيء يبيد بيداً وبيودا إذا هلك وفني. والإشارة بـــ "هذه" إلي الجنة التي دخلاها .

---

١٩٦٥، سملت : فقئت.

(١) ينظر: الدر المصون ج٧ص٤٨٨ .

(٢) حاشية الشهاب علي البيضاوي ج٦ص١٠٠، طبعة دار صادر بيروت بدون تأريخ.

(٣) ينظر : الكشاف ج٢ص٤٨٤.

والمراد بالأبد: أبد حياته، ذلك لطول أمده وتمادي غفلته .

والمعني : إني لا أعتقد أن هذه الجنة تهلك وتفني بل هي باقية علي حالها من الحسن والنضارة مدة حياتي.

وفصلت هذه الجملة عن سابقتها لما بينهما من شبه كمال الاتصال، لقوت صلتها بالأولي، لوقوعها جوابا عن سؤال نشأ عن ذكر دخول الجنة حال ظالمه لنفسه ، فكأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك، فقيل:"قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ".

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ : أي كما اعتقد عدم هلاك الجنة مدة حياتي ، كذلك اعتقد عدم قيام الساعة ، فهو قد أنكر البعث وما يترتب عليه من حساب ، بعد إنكاره لفناء جنته .

وعطفت هذه الجملة علي سابقتها ، لاتحادهما في الخبرية لفظا ومعني مع وجود المناسبة التامة بينهما ، وهي الاتحاد بين المسند إليه و المسند فيهما ، وليس هناك ما يمنع العطف ، وهو ما يسمي بالتوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

ثم أكد كلامه بجملة قسمية فقال :

﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي : والله لئن رددت إلي- ربي- كما أخبرتني لأجدن خيرا من هذه الجنة مرجعا وعاقبة ، لان هذه قانية وتلك باقية ، قال ذلك علي سبيل الفرض والتقدير تطمعاً وتمنيا علي الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده ، وانه ما أولاه الجنتين في الدنيا إلا لاستحقاقه،

والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء[١] كقوله : ولن رجعت إلي ربي " إن لي عنده للحسنى"

وقيل إنه قال ذلك تهكما بصاحبه ، وقرينه التهكم قوله "وما أظن الساعة قائمة" وأكد كلامه بلام القسم ونون التوكيد مبالغة في التهكم[٢]

والضمير في "منها" يعود إلي الجنة المدخولة ، لذلك أفرد وقرأ بالتثنية[٣] "منهما" عوداً إلي – الجنتين – أول الكلام تفننا في حكاية كلامه.

و"منقلبا" اسم مكان من الانقلاب بمعني الرجوع والانصراف عن الشيء إلى غيره ، وانتصب علي تمييز نسبة الخير .

هذا " والمتدبر لحال صاحب الجنتين يراه – أولا – قد زعم أن مدار التفاضل هو الثروة والعشيرة ، ويراه – ثانياً – قد بني حياته علي الغرور والبطر ، واعتقاد الخلود لزينة الحياة الدنيا ، ويراه – ثالثا – قد أنكر البعث والحساب ، والثواب والعقاب ، ويراه – رابعاً – قد توهم أن غناه في الدنيا سيكون معه مثله في الآخرة[٤]

---

(١) ينظر : الكشاف ج٢ص٤٨٤، التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢١ ص ١٢٦طبعة مطبعة عبد الرحمن محمد،الطبعة الأولي بدون تأريخ، تفسير البحر المحيط ج٦ص١٢٦، التفسير الوسيط ج٨ص٥١٦.
(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ج١٥ص٣٢١.
(٣) ينظر:التفسير الكبير ج٢١ص ١٢٦، تفسير البحر المحيط ج٦ص١٢٦.
(٤) التفسير الوسيط ج٨ ص٥١٦ ، ٥١٧.

**الفقـــرة الثانيـــــة :**

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾

جملة ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ في موضع الحال من فاعل قال، والاستفهام في قوله ﴿ أَكَفَرْتَ ﴾ للتعجب والإنكار.

والمراد بالكفر هنا الإشراك ، الذي من جملة معتقداته إنكار البعث ولذلك عرف بطريق الموصولية ؛ أن مضمون الصلة من شانه أن يصرف من يدركه عن الإشراك به ، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق الناس فما كان غير الله مستحقاً للعبادة .

ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الإنسان عن إنكار الخلق الثاني كما قال تعالي ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١) وقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٢) فكان مضمون الصله تعريضاً بجهل المخاطب"(٣)

وقوله ﴿ خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ إشارة إلي خلق أصله أي خلق أصلك وهو أدم عليه السلام ؛ لأن خلق أصله سبب في خلقه؛ فكان خلقه خلقا له(٤) كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٥)

---

(١) سورة ق جزء من الآية ١٥.
(٢) سورة الروم جزء من الآية ٢٧ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ج١٥ص٣٢٢.
(٤) الكشاف ج ٢ص٤٨٤.
(٥) سورة آل عمران الآية ٥٩.

وقيل هو إشارة إلي الأجزاء التي تتكون منها النطفة وهي أجزاء الأغذية المستخلصة من تراب الأرض[١] كما قال تعالـــي : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ ﴾ [٢] .

ومن في قوله ﴿ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ابتدائية والإسناد هنا – مجاز من إسناد ما للسبب إلي المسبب والنطفة في الأصل : القطرة من الماء الصافي ، يقال : نطف ينطف أي: قطر يقطر[٣] وسمي المني نطفة ؛ لأنه ينطف أي يقطر قطرة بعد قطرة.

والمعني ثم أوجدك أنت من نطفة عن طريق التناسل والمباشرة بين الذكر والأنثى .

﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ أي : صيرك إنسانا كاملا ذا صورة وهيأة حسنة؛كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [٤]

وعليه يكون "رجلا" منصوبا علي أنه مفعول ثان لسواك ؛ لتضمنه معني صيرك وجعلك.

أما إذا كان المعني – كما قال الزمخشري[٥]– عدلك وكملك إنسانا ذكرا، فيكون رجلا منصوبا علي أنه حال، وجاز جعله حالاً مع أنه غير منتقل ولا مشتق ؛ لأنه جاء بعد "سواك" إذ كان من

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط ج ٦ص١٢٧،تفسير التحرير والتنوير ج١٥ ص٣٢٢.
(٢) سورة يس جزء من الآية ٣٦ .
(٣) الدر المصون ج ٧ص٤٩٠.
(٤) سورة التين الآية ٤ .
(٥) ينظر الكشاف ج ٢ ص٤٨٤.

الجائز أن يسويه غير رجل ، وهو كقولهم : "خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها " ، وقول الشاعر :

جاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء[١][٢]

وجاء التعبير بـــ " ثم " في الآية للإشارة إلي أطوار خلق الإنسان التي فصلها سبحانه في آيات أخري منها قوله تعالي ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللـــهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٣][٤]

وفصلت هذه الجملة عن سابقتها ؛ لما بينهما من صلة قوية لوقوعها جوابا عن سؤال نشأ عن الأولي، فكأنه قيل فماذا قال له صاحبه حين رآه قد أنكر البعث والحساب ، والثواب والعقاب ؟ وهذا يعرف عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال.

ثم يعلن الرجل المؤمن موقفه بشجاعة فيقول لصاحبه .

---

(١) ينظر شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك ج ٢ص٤٨٧طبعة مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثالثة ١٩٧٠

(٢) هذا البيت لرجل من بني جناب من بلقين ، وكان يتزوج ابنة عمه ،وكان له منها ولد اسمه سيار وكان له – مع ذلك – ولد آخر أمه جاريه واسمه حندج ، وكان يبر حندجا ويلطف به ، فكانت ابنة عمه تعذله علي ذلك وتلومه وتغاضبه ، فقال مقطوعة ينهاها فيها عن ذلك منها هذا البيت ، وأراد بقوله سبط العظام انه تام الجسم مكتمل النمو حسن القد والاستواء، وهذا مما يمتدح به العرب .

(٣) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٣-١٤ .

(٤) التفسير الوسيط ج٨ص٥١٨.

﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ ولفظ "لكنا" مركب من "لكن" بالسكون الذي هو حرف استدراك ، ومن ضمير المتكلم "أنا"

وأصله – كما يقول الزمخشري[١] " لكن أنا" ، فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال، وألقيت حركتها علي نون "لكن" ،فتلاقت النونان ، فكان الإدغام ، ونحوه قول القائل:

وترميني بالطرف أي أنت مذنب وتقليني لكن إياك لا اقلي[٢]

أي : لكن أنا لا أقليك.

وقد اتفق القراء علي إثبات ألف " لكنا " في حالة الوقوف واختلفوا في إثباتها في حالة الوصل ، فمنهم من يثبتها ،ومنهم من يحذفها[٣] .

والاستدراك هنا من قوله " أكفرت " كأنه قال لصاحبه :أنت كافر بالله لكني مؤمن.

يقول الزمخشري : " فان قلت : هو استدراك لأي شيء؟ قلت: لقوله " أكفرت " قال لأخيه أنت كافر بالله ، لكني مؤمن موحد ، كما تقول: زيد غائب لكن عمرا حاضر"[٤] لأنه قد يتوهم غيبة عمر أيضا.

---

(١) الكشاف ج٣ ص ٤٨٥ بتعريف يسير.
(٢) لم اهتد إلي قائله ، وهو في معاني القران للفراء ج ٢ ص١٤٤، والخزانة ج ٤ ص٤٩٠.
(٣) ينظر: التفسير الكبير ج ٢١ص١٢٦،الجامع لأحكام القرآن ج١٠ص ٤٠٤، تفسير البحر المحيط ج ٦ص.١٢٧
(٤) الكشاف ج ٢ص٤٨٥.

و"أنا" مبتدأ و"هو" ضمير الشأن أي: شأني هو الله ربي مبتدأ ثان و"الله" مبتدأ ثالث،- و"ربي" خبره والمبتدأ الثالث وخبره خبر المبتدأ الثاني والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول ، والرابط بينهما الياء في "ربي ".

وفي قوله "الله ربي" قصر إضافي بالنسبة لمخاطبه - عند من يعد التعريف طريقا من طريق القصر -،فهو قد قصر صفه ربوبية الله علي نفسه بالنسبة لمخاطبه.

وقد أفاد القصر- هنا-توكيد اعترافه وإيمانه بالخالق الواحد هذا فضلا عن اسمية الجملتين ، وضمير الشأن ،وزاد ذلك فقال :

﴿ وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ وهذا تعريض بإشراك صاحبه وأنه مخالفه في ذلك ، وقد صرح بذلك صاحبه في قوله : ﴿ يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾ .

والمعني : إن كنت يا هذا قد كفرت بالله الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا، فإني لست بكافر، ولكني أنا مؤمن أعترف لله بالعبادة والطاعة، وأقر أنه هو الله تعالي وحده ربي ولا أشرك معه أحداً من خلقه لا في الربوبية ، ولا في الألوهية ولا في الذات ، ولا في الصفات.

ثم أرشده إلي ما كان يجب عليه أن يقوله عند دخوله جنته فقال :

﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ لولا حرف تخصيص بمعني هلا مفيد للتوبيخ؛ لأنه دخل علي الفعل

الماضي"قلت" وفصل بينهما بـــ" إذ دخلت " فهو معموله ، وتقدم علية للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير تريث.

و"ما يجوز فيها ثلاثة أوجه من الإعراب[١] :

أولها : أن تكون موصولة بمعني الذي،وعليه إما أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف، والتقدير: الذي شاء الله كائن وواقع، وإما أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف يدل عليه ملابسه حال دخول الجنة ، أي هذه الجنة ما شاء الله ، أي الأمر الذي شاء الله إعطاءه إياي.

ثانيها : أن تكون شرطية، فتكون في محل نصب مفعولاً مقدماً وجوابا بـــ"شاء ، أي:أي شيء شاء الله، والجواب محذوف أي :ما شاء الله كان ووقع.

ثالثها: أنها نكرة موصوفة ، والتقدير هذه شيء شاء الله أي لي.

وعلي كل تقدير فجملة "ما شاء الله" في محل نصب مقول القول، وكذلك جملة"لا قوة إلا بالله"المكونة من لا التبرئة واسمها وخبرها منصوبة بالقول، أي لولا قلت هاتين الجملتين .

وهي " تعليل لكون تلك الجنة من مشيئة الله ، أي لا قوة لي علي إنشائها، أولا قوة لمن أنشأها إلا بالله، فان القوي كلها موهبة من الله تعالي ،لا تؤثر إلا إعانته بسلامة الأسباب والآلات المفكرة

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٢٧، تفسير البحر المحيط ج٦ ص ١٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن ج١٠ص٤٠٧ ، تفسير التحرير والتنوير ج ١٥ص ٣٢٤ الدر المصون ج٧ص٤٩٥.

الصانعة، فما في جملة " لا قوة إلا بالله " من العموم جعلها كالعلة والدليل لكون تلك الجنة جزئيا من جزئيات منشآت القوي البشرية الموهوبة للناس بفضل الله " [١]

والمعني : هلا قلت إذا أعجبتك جنتك حين دخلتها "ما شاء الله لا قوة إلا بالله " عوض قولك " ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة "

والمراد كما يقول الألوسي- تخصيصه علي الاعتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله- تعالي - إن شاء أبقاها ، وإن شاء أبادها[٢] .

وعطفت هذه الجملة علي جملة "أكفرت "لاتفاقهما في الإنشائية مع وجود المناسبة التامة بين الجملتين وهي الاتحاد في المسند إليه والتماثل في المسند ، وليس هناك ما يمنع من العطف ، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالتوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

وفي قوله "لا قوة إلا بالله" وهو أيضا قصر صفه علي موصوف قصرا حقيقيا ، حيث قصر صفة القوة علي الله سبحانه وتعالي ، بطريق النفي والاستثناء.

وقد أفاد القصر- هنا- توكيد المشيئة في أن دخول الجنة من غير ريث واثبات القوة لله سبحانه.

---

(١) تفسير- التحرير والتنوير ج١٥ص٣٢٤.
(٢) روح المعاني ج٥ ص٢٧٩.

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ "إن" شرطية ، و" ترن" فعل الشرط، وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفا ،ولدلالة الكسرة عليها ،وهي في محل نصب مفعول أول لـــ " ترن" و" أنا " ضمير فصل لا محل له من الإعراب ويجوز أن يكون في موضع نصب توكيد الياء المتكلم

و" أقل " بالنصب مفعول ثان لـــ " ترن " ، علي أنها عملية،أما إذا كانت بصرية ، فتكون حالا من المفعول به : وعندئذ يتعين كون "أنا" توكيداً لا فصلاً ؛ لأن شرطه أن يقع بين مبتدأ وخبر ، أو ما أصله المبتدأ أو الخبر.

وأما قراءة الرفع " أقل " فيتعين فيها كون" أنا " مبتدأ " وأقل" خبره ، والجملة : إما في موضوع المفعول الثاني لـــ " ترن "علي أنها علمية وإما في موضوع الحال علي أنها بصرية.

و"مالاً وولداً "تمييز،وجملة فعسي ربي "جواب الشرط وذكر الولد ههنا يدل علي أن المراد بالنفر المذكور في قوله "وأعز نفراً" الأعوان والأولاد كأنه يقول له:إن كنت تراني" أقل مالا وولداً " وأنصاراً في الدنيا الفانية " فعسي ربي أن يؤتين خيراً من جنتك " إما في الدنيا وإما في الآخرة"[1]

﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾

(١) التفسير الكبير ج٢١ص١٢٧.

الحسبان : مصدر حسب كالغفران ،والبطلان بمعني الحساب وهو هنا صفة لموصوف محذوف أي هلاكا حسبانا أي مقداراً من الله كقوله تعالي"عطاءً حساباً" .

وقيل : الحسبان اسم جمع لسهام قصار يرمي بها في طلق واحد وليس له مفرد والمرامي من السماء عذاب . وقيل : اسم جمع حسبانه وهي الصاعقة

وقيل : اسم للجراد والمعاني الأربعة صالحة هنا[1]

والصعيد : وجه الأرض

والزلق : مصدر زلقت الرجل تزلق زلقاً أي: اضطربت وزلت علي الأرض فلم تستقر ووصفت الأرض بذلك مبالغة أي ذات زلق أي هي مزلقة.

والمراد أنها عديمة النفع من كل شيء حتى من المشي عليها

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾

الغور: مصدر غار الماء يغور غوراً : غاض وذهب في الأرض، ووصف الماء بهذا المصدر للمبالغة، ولذلك فرع علية "فلن تستطيع له طلبا" وجاء بحرف توكيد النفي زيادة في التحقيق لهذا الرجاء الصادر مصدر الدعاء.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ١٥ص ٣٢٥، بتصرف.

والمعني إن ترن- أيها المغرور- أنا أقل منك مالا وولداً فإني أرجو الله الذي لا يعجزه شيء، وأدعوه أن يرزقني ما هو خير من جنتك في الدنيا والآخرة ويرسل علي جنتك آفة من جهة السماء كالصواعق وغيرها مما يشاء الله- تعالي - إرساله عليها من المهلكات التي تذرها قاعاً صفصفاً، فتصبح بعد اخضرارها ونضارتها أرضا جرداء ملساء لانبات فيها ولا يثبت عليها قدم ، أو تأتيها آفة أرضيه فيغور ماؤها ويتلف كل ما فيها من الشجر والزرع ، ولن تستطيع رد هذا الماء الغائر، ولا تقدر عليه بحيلة ولن تستطيع طلب غيره بدلاً منه، لأنه لا يقدر علي ذلك إلا الله ﷻ

وإلي هنا نجد أن الرجل المؤمن قد رد علي صاحبة الكافر بما يذكره بمنشئه، وبما يوجهه إلي الأدب الذي يجب أن يتحلى به مع خالقه ورازقه، وبما يحذره من سوء عاقبة بطره .

وهكذا الإيمان الحق يجعل المؤمن يعتز بعقيدته ويتجه إلي الله وحده الذي تعنو له الجباه ويرجو منه وحده ما هو خير من بساتين الدنيا وزينتها[١]

(١) التفسير الوسيط ح ٨ ص ٥٢٠،٥٢١.

**الفقـــرة الثالثـــــة :**

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾

الإحاطة : الأخذ من كل جانب ، مأخوذة من إحاطة العدو بعدوه من جميع جوانبه لإهلاكه واستئصاله.

وجاء هذا الفعل "أحيط" مبنياً للمجهول للإشعار بأن فاعله متيقن وهو العذاب الذي أرسله الله تعالي أي وأحاط العذاب بجنته[١]

وكان ذلك ليلا يقول أبو حيان"والظاهر أن الإحاطة كانت ليلا لقولة "فأصبح"علي أنه يحتمل أن يكون معني "فأصبح" فصار فلا يدل علي تقييد الخبر بالصباح"[٢]

والمعني أحاط العذاب الذي قدره الله لجنته بها فأصبحت صعيداً زلقاً، وهلكت أنعامه وكل ما يملك .

وإنما لم تعطف جملة " وأحيط بفاء التفريع علي رجاء صاحبه المؤمن،إذ لم يتعلق الغرض في هذا المقام بالإشارة إلي الرجل المؤمن وإنما المهم التنبيه علي أن ذلك حادث حل بالكافر عقاباً له علي كفره؛ ليعلم السامعون أن ذلك جزاء أمثاله وأن ليس بخصوصية لدعوة الرجل المؤمن"[٣]

---

(١) التفسير الوسيط ح ٨ ص ٥٢١ .
(٢) فسير البحر المحيط ح ٦ ص ١٣٠ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ح١٥ ص٣٢٦ .

وعطفت هذه الجملة علي جمله الرجاء لما بينهما من اتفاق في الخبرية لفظا ومعني مع وجود المناسبة التامة بينهما وليس هناك ما يمنع من العطف وهو ما يعرف عند البلاغيين بالتوسط بين الكمالين مع عدم المانع .

وهذه الجملة استعارة تمثيلية؛ لأنها صورت حالة هلاك الثمر، بحالة إحاطة العدو القاهر بعدوه واستئصاله له ، ثم استعير التركيب الدال علي المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التمثيلية

وقد امتازت هذه الاستعارة بحسن تصويرها للمعني فضلا عن إيضاحه.

وقد زاد من جمال هذه الاستعارة مراعاة حسن التشبيه الذي بنيت عليه لأنها مبنية علي تشبيه تمثيلي والتشبيه التمثيلي في أعلي مراتب التشبيه لاحتياجه إلي إلطاف الروية وإعمال الفكر وتحريك الذهن .

و" مراعاة حسن التشبيه الذي تبني عليه الاستعارة في القرآن الكريم من احدي الخصائص الفنية التي جعلت الاستعارة في القرآن تتربع علي عرش الجمال وتتمطي صهوة الحسن والكمال[١]

ولا شك أن هذه الاستعارة قد امتازت بالإيجاز " وهذا الإيجاز يعد من الخصائص الفنية للاستعارة في القران ، إذ إنه فيه اقتصاد

(١) بحوث في البيان د/ محمود السيد شيخون ص ٩٨ طبعة مطبعه أسامه ١٩٨١.

علي ذهن السامع كي يصرف جزءا من تفكيره في فهم المعني، وجزءاً آخر في فهم اللفظ"[١]

وقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾

كناية عن الندم والحسرة مع اللوم الشديد للنفس، فهي كناية عن صفة، وهي قريبة واضحة لان الانتقال من تقليب الكفين إلي الندم والحسرة يحصل بسهوله ويسر ومن غير حاجة إلي تأمل وفكر .

وقد أفادت هذه الكناية المبالغة في الندم والحسرة .

﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أي ساقطة ومتهدمة علي دعائمها، وعلي سقوفها وخالية من كل ما اشتملت عليه، فجمع عليه بين هلاك الثمر والأصل .

وأصل الخواء السقوط والتهدم يقال : خوي البيت إذا سقط كما يطلق علي الخلاء من الشيء يقال خوي البيت أي خلا من أهلة ، وخوي بطن فلان من الطعام إذا خلا منه.

والعروش جمع عرش وهو سقف البيت أو الكرم "وعلي " للاستعلاء .

وهذا التركيب أرسله القرآن مثلاً للخراب التام الذي هو سقوط سقوف البناء وجدرانه

---

(١) بحوث في البيان ص ٩٩ .

﴿ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ أي: يا ليتني عرفت نعم الله علي ، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به،وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم .

وعبر بالمضارع " يقول " للدلالة علي تكرار ذلك القول منه، وحرف النداء مستعمل في التلهف " وليتني " تمن مراد به الندم، وأصل قولهم " يَا لَيْتَنِي " أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة "ليت" يقول :احضري فهذا أوانك[١]

والمتدبر لهذه الآية الكريمة يراها قد صورت فجيعة الرجل الجاحد في جنته تصويراً واقعياً بديعاً .

فقد جرت عادة الإنسان أنه إذا نزل به ما يدهشه ويؤلمه أن يعجز عن النطق في أول وهلة فإذا ما أفاق من دهشته بدأ في النطق والكلام .

وهذا ما حدث من ذلك الرجل كما صور القرآن الكريم-فإنه عند ما رأي جنته وقد تحطمت أخذ يقلب كفيه حسرة وندامة دون أن ينطق، ثم بعد أن أفاق من صدمته جعل يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا.

فيا له من تصوير بديع يدل علي أن هذا القرآن من عند الله تعالي"[٢]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٣٢٧ .
(٢) التفسير الوسيط ج٨ ص٥٢٢.

وعطفت هذه الجملة علي سابقتها وهي "يقلب كفيه " لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعني مع وجود المناسبة التامة بينهما،وهي الاتحاد في المسند إلية، والتماثل في المسند،وليس هناك ما يمنع العطف، وهو ما يسمي عند البلاغيين بالتوسط بين الكمالين مع عدم المانع.

وقد اشتمل هذا الوصل علي محسنين من محسنات الوصل التي تكسبه حسنا وجمالا وتكسوه رونقا وبهاء وهما اتفاق الجملتين في الفعلية ، وفي نوع الفعل فكلاهما مضارع .

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾

موعظة وتنبيه علي جزاء قوله "وأعز نفراً"

" وتكن " مضارع كان وقرئت بالتاء والياء؛ لأنها رفعت ما ليس بحقيقي التأنيث.

وجملة " ينصرونه " يجوز فيها ثلاثة أوجه[١]

أولها: أن تكون في موضع الصفة ل " فئة " أي: فئه ناصرة و"له " خبر " تكن "

ثانيها: أن تكون في موضع الخبر مع تقدم "له " كما في قولة تعالي : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [٢]

---

(١) ينظر : روح المعاني ح ١٠ ص ٤١٠ تفسير التحرير والتنوير ح ١٥ ص ٣٢٨ الدر المصون ح ٧ ص ٤٩٨ .
(٢) سورة الإخلاص الآية ٤.

ثالثها: أن تكون في موضع الحال و"له " هو الخبر ، وسوغ مجئ الحال من النكرة تقدم النفي .

وجمع الضمير فيها حملاً علي معني " فئة " لأن معناها أقوام، ولو حمل علي لفظها لأفرد وقال " ولم تكن له فئة تنصره " كما ورد في بعض القراءات[١] أي فرقة وجماعة يلتجئ إليهم كقوله تعالي: ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾[٢]

والمعني ولم تكن لهذا الجاحد المغرور- بعد أن دمرت جنته وذهب كل ما يملك عشيرة وأعوان ينصرونه ويدفعون عنه ما حل به، وما كان هو منتصرا بنفسه، فقد حجب الله عنه كل وسائل النصرة، بسبب جحده وغروره وكفره بالله،

فالآية الكريمة تبين بوضوح عجز كل قوة عن نصرة ذلك الرجل المخذول سوي قوة الله عز وجل وعجز ذلك الرجل في نفسه عن رد انتقام الله – تعالي- منه[٣]

وزاد المولي سبحانه وتعالي هذا المعني تقريراً وتأكيداً فقال ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

اختلف العلماء فيما يتعلق بـ "هنالك " علي رأيين: [٤]

---

(١) ينظر تفسير البحر المحيط ح ٦ ص ١٣٠ و الدر المصون ح٧ ص ٤٩٨.

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية ١٣ .

(٣) التفسير الوسيط ح ٨ ص ٥٢٣.

(٤) ينظر : تفسير البحر المحيط ح ٦ ص١٣٠ ، روح المعاني ح ١٠ ص ٤١١، الدر المصون ح ٧ ص ٤٩٨ ، ٤٩٩، التفسير الوسيط ح ٨ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

الأول : انه متعلق بما بعده، والكلام تم علي قوله " منتصراً " وعلي هذا فيجوز فيه ثلاثة أوجه:

أولها: أن يكون منصوبا علي الظرفية متعلقاً بـــ " الله " أو باستقر أي الولاية كائنة لله هنالك .

ثانيها : أن يكون خبراً لـــ" الولاية" و" الله " فضلة أي الولاية هنالك لله .

ثالثها : أن يكون " هنالك الولاية " مقدراً بجملة فعلية فالولاية فاعل بالظرف قبلها، أي استقرت الولاية لله و"لله" متعلق بالاستقرار، أو بنفس الظرف، لقيامه مقام العامل، أو بنفس الولاية، أو بمحذوف علي أنه حال من "الولاية"، وهذا إنما يتأتي علي رأي الأخفس من حيث الظرف يرفع الفاعل بنفسه .

وكلمة "الولاية" قرئت بفتح الواو وبكسرها[١] وعلي قراءة الفتح تكون بمعني الموالاة والصلة والنصرة كقولة تعالي: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٢] وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٣]

وعليه يكون المعني في ذلك المقام وتلك الحال تكون النصرة لله وحده لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه .

---

(١) نظر : التفسير الكبير ح٢١ ص ١٢٩ ، روح المعاني ح١٠ ص ٤١١ تفسير البحر المحيط ح ٦ ص ١٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(٣) سورة محمد آية ١١ .

أو في مثل تلك الحال وذلك المقام بنصر الله أولياءه المؤمنين علي الكفرة، وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم .

أما علي قراءة الكسر فتكون بمعني الملك والسلطان أي:في ذلك المقام السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه.

ولفظ "الحق" قرأ بالجر نعتا "لله"، وقرأ بالرفع نعتا لـــ"الولاية" وقرأ أيضا بالنصب علي التأكيد لمضمون الجملة كقولهم : هذا عبد الله الحق لا الباطل[١]

ولفظ "عقبا" قرأ بسكون القاف وبضمها[٢] وهما بمعني العافية، فالله خير إثابة وإعطاء لأوليائه .

وخير عاقبة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم أهتدى .

و" ثوابا " و" عقباً " منصوبان علي التمييز لأفعل التفضيل .

هذا وجملة "هنالك الولاية لله " تذييل لما قبله،لاشتمالها علي معناها تأكيداً لها .

وقد أفاد القصر هنا توكيد إثبات النصرة والولاية والسلطان والملك لله تعالي . ولا ننسي مراعاة الفاصلة في القصة بأكملها .

وبذلك نري أن هذه القصة التي ضربها الله تعالي مثلاً للأخيار والأشرار قد بينت لنا بأسلوب بليغ أخاذ صور عاقبة

---

(١) ينظر : التفسير الكبير ح ٢١ ص ١٢٩ روح المعاني ح١٠ ص ٤١١ ، تفسير البحر المحيط ح٦ ص ١٣٠ .
(٢) المراجع السابقة .

الجاحدين المغرورين،وحسن عقبة الشاكرين المتواضعين كما بينت لنا الآثار الطيبة التي تترتب علي الإيمان والعمل الصالح، والآثار السيئة التي يفضي إليها الكفر وسوء العمل كما بينت لنا أن المتفرد بالولاية والقدرة هو الله ﷻ فلا قوة إلا قوته ولا نصر إلا نصرة، ولا مستحق للعبادة أحد سواه، ولا ثواب أفضل من ثوابه ولا عافية لأوليائه خير من العاقبة التي يقدرها لهم وصدق سبحانه حيث يقول ﴿ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقباً"(١) (٢)

(١) سورة الكهف آية ٤٤ .
(٢) التفسير الوسيط ح ٨ ص ٥٢٤.

# الفصل الثاني

# من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنة

## دراسة تطبيقية

## بيـن يـدي القصـة

لما قال سبحانه وتعالي لأجل أن كان ذا مال وبنين ، جحد وكفر وعصى وتمرد بين في هذه الآيات أنه تعالي إنما أعطاه المال والبنين علي سبيل الابتلاء والامتحان ، وليصرفه إلي طاعة الله ، وليواظب علي شكر نعم الله ، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالي يقطع عنه تلك النعم ، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات فقال : "إن بلوناه كما بلونا أصحاب الجنة "

وهذه القصة المضروب بها المثل قصة معروفة بينهم ، وهي أنه كانت ببلده يقال لها "ضروان" علي بعد ستة أميال من صنعاء باليمن جنة لرجل كان يؤدي حق الله تعالي منها فمات ، "فصارت" إلي ولده فمنعوا الناس خيرها،وبخلوا بحق الله تعالي منها ، وتمالؤوا علي حرمان اليتامى والمساكين،وأقسموا علي قطع ثمار جنتهم مصبحين، ولا يتركون منه شيئاً للمساكين ، فأحاط بها عذاب من الله فاحترقت وصارت سوداء كالليل المظلم .

فلما أصبحوا نادي بعضهم بعضا لإنجاز ما بيتوا عليه أمرهم قائلين إن كنتم قاصدين للصرم وقطع الثمار فاغدوا علي حرثكم ، فانطلقوا يتسارون فيما بينهم بطريق المخافته، يقولون: لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا قاصدين جنتهم بسرعة ونشاط منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم قادرين علي صرامها ، فلما رأو جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد ضلوا الطريق فقالوا :" إنا لضالون "

ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي ووقفوا علي حقيقة ما آلت إليه جنتهم، اعترفوا بالحقيقة المرة ، وأضربوا عن قولهم الأول " إنا لضالون " وقالوا :" بل نحن محرومون " أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بشؤم عزمنا علي البخل ومنع الفقراء فقال أفضلهم وأرجحهم عقلا ورأيا ألم أقل لكم لولا تتوبون إلي الله وتنزهونه عن أن يعصي أمره في شأن إعطاء المساكين، فأجابوه مقرين بوعظه لهم وعصيانهم وعدم أخذهم بالنصيحة فـ " قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين " أنفسنا بما جلبناه عليها من سلب النعمة،والمساكين بمنعنا حقهم، وأقبل بعضهم علي بعض يتلاومون، وقد تلقي كل واحد منهم لوم غيره عليه بإحقاق نفسه بالملامة وإشراك بقيتهم فيها ، فقال كل واحد منهم " ياويلنا إنا كنا طاغين " علي حدود الله متجاوزين الحد المتعارف في الكبر والتعاظم ، ثم رجوا الله أن يعطيهم بدلاً من هذه الجنة – ببركة توبتهم واعترافهم بالخطيئة – خيراً منها إنهم راجون عفوه ، وقد كان .

ثم ختم الله قصتهم ببيان أن هذا العذاب الذي لاقوه وأحسوا به عندما رأوا جنتهم محترقة وندمهم وحسرتهم عليها عذاب الدنيا ، أما عذاب الآخرة فأعظم وأشد " لو كانوا يعلمون " .

## بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)

سورة القلم

**الفقرة الأولي**

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾

البلوي حقيقتها الاختبار تقول : بلي الثوب أي خلق ورث وبلوته اختبرته ، كأني اخلقته من كثرة اختباري له(١)

والضمير في " بلوناهم " يعود إلي المشركين المكذبين في قولة تعالي : ﴿ فَلا تُطِعْ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٢)

والكاف في " كما " في موضع نصب صفه لمصدر محذوف، أي : بلوناهم ابتلاءً كما بلونا .

وما مصدرية، وقيل: بمعني الذي أي كالبلاء الذي بلوناه أصحاب الجنة(٣)

هذا وأول ما يطالعنا من فنون بلاغية في هذه القصة تلك الصورة التمثيلية الرائعة التي صور القرآن الكريم فيها حال هؤلاء المشركين الذين اغتروا بسعة الرزق وأهملوا شكرها ، فنزل بهم ما نزل من قحط وجدب ، بحال أصحاب تلك الجنة حينما أقسموا ليقطعن ثمرها مصبحين ، ولا يستثنون منه شيئاً للمساكين ، كما كان يفعل أبوهم ، فأحاط بها أمر الله فأصبحت كالليل المظلم .

---

(١) ينظر : اللسان مادة ( بلي) .
(٢) سورة القلم الآية ٨ .
(٣) ينظر الدر المصون ج ١٠ ص ٤٠٩ .

ووجه المشابهة بين الحالين- هنا- هو الإعراض عن طلب مرضاة الله ، وعن شكر نعمته والبطر بالنعمة ، والاغترار بالقوة.

وفي هذا التمثيل " تعريض بالتهديد بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعم ، والقحط بعد الخصب وإن أختلف السبب في نوعه فقد اتحد جنسه "(١)

هذا وقد استمد هذا التمثيل عناصره من الطبيعة والبيئة وهذه خاصية من خصائص التمثيل في القرآن الكريم .

والتمثيل عند ما يستمد عناصره من الطبيعة التي تختلف من مكان إلي مكان، وفي زمان عن زمان ، يهدف إلي أن يكون مؤثراً في كل وجدان ، مسيطراً علي كل تفكير(٢)

﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ إذ في محل نصب معمول لبلونا و ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ جواب للقسم وجاء علي خلاف منطوقهم، ولو جاء عليه لقيل : " لنصرمنها " بنون التكلم، وكلا الأمرين جائز في مثله(٣).

وأكد الفعل باللام والنون الثقيلة لزيادة تأكيد مرادهم .

والصرم : قطع الثمرة وجذاذها يقال : صرم العذق عن النخلة وأصرم النخل، إذا حان وقت صرامه(٤)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٧٩.
(٢) بحوث في البيان ص ٢٧ .
(٣) روح المعاني ح٩ ٢ص ٢٩.
(٤) ينظر : التفسير الكبير ح٣ ص ٨٧ .

"ومصبحين " حال من فاعل " ليصرمنها " وهو من أصبح التامة أي: داخلين في الصباح، أي في أوائل الفجر .

﴿ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾ جملة مستأنفة ، وقيل في موضع الحال[١] أي أنهم لا يستثنون من الثمر شيئاً للمساكين، أي: أقسموا ليصرمن جميع الثمر، ولا يتركون منه شيئاً.

وهذا العموم مستفاد مما في الصرم من معني الخزن والانتفاع بالثمرة، وإلا فإن الصرم لا ينافي إعطاء شيء من المجذوذ لمن يريدون، وأجمل ذلك اعتماداً علي ما هو معلوم للسامعين من تفصيل هذه القصة علي عادة القرآن في إيجاز حكاية القصص بالاختصار علي موضع العبرة منها[٢]

وقيل : معناه لا يثنون عزمهم علي حرمان المساكين

وقيل : معناه لا يقولون إن شاء الله كما قال تعالي " ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله[٣]

يقول الزمخشري : " فإن قلت لم سمي استثناءً، وإنما هو شرط ؟ قلت: لأنه يؤدي مؤدي الاستثناء من حيث إن معني قولك: لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد"[٤]

---

(١) ينظر : الدر المصون ح١٠ ص ٤٠٩ .
(٢) ينظر :التفسير التحرير والتنوير ح٢٩ ص ٨١.
(٣) سورة الكهف ٢٣ ، ٢٤ .
(٤) الكشاف ح ٣ ص ١٧.

وعلي هذا التفسير يكون قوله تعالي " ولا يستثنون " من قبيل الإدماج[١] لأنه- سبحانه وتعالي- ضمن قطعهم لثمار جنتهم وعدم بقاء شئ منها للمساكين ، عدم المشيئة أي : لمبلغ غررهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزموا علي فعل شئ لا يتوقعون له عائقا.

كما جاء في قول أبي الطيب في وصف الليل :

أقلب فيه أجفاني كأني أعد بها علي الدهر الذنوبا[٢]

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر، مع عدم التصريح بها ، وعدم إشعار الكلام بأنه مسوق لأجلها .

وعبر سبحانه بصيغة المضارع لاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم علي المساكين في ذهن السامع .

(١) الإدماج هو : أن يضمن كلام سيق لمعني معني أخر الايضاح ص٢١٢.
(٢) ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي ح١ ص ٢٥٦ نشر دار الكتاب العربي بيروت ، طبعة بيروت ١٩٨٠ م .

**الفقرة الثانية :**

ثم بين سبحانه ما ترتب علي هذا القسم الذي لم يقصد به الخير ، وإنما قصد به الشر فقال:

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ أي أحاط بها من جميع جوانبها ،فالطواف المشي حول شيء من كل جوانبه يقال: طاف بالكعبة.

وعدي "طاف " بـــ "علي" دون الباء لتضمينه معني تسلط أو نزل[١] .

وهذا من البلاغة العالية ؛ لأنك تري اختلاف حرف التعدية يبعث في الفعل معني آخر جديدا مستعليا علي من يدفعه ، وكان ابن رشيق يقول :-"إن إتقان الكلام الأول يرجع إلي مثل هذا أكثر مما يرجع إلي حسن الاستعارة، وديباجة المقابلة، وغضارة الجناس"[٢]

ونكر " طائف " لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك ، ولا يتعلق غرض بتعيين نوعه؛ لأن العبرة في الحاصل به.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده لابن رشيق القيرواني تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ح ٢ ص ٢٥ طبعة دار الجيل بيروت.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ح٢٩ ص ٨١ .

فإسناد الفعل "طاف " إلي"طائف"بمنزلة إسناد الفعل المبني للمجهول ، كأنه قيل : فطيف عليها وهم نائمون[١] .

ونون "طائف" للتعظيم ، أي أمر عظيم ، وقد بينه سبحانه بقوله "فأصبحت كالصريم " فهو طائف سوء .

وفي الآية الكريمة استعارة تمثيلية حيث شبه سبحانه حالة إحاطة أمر الله لتلك الجنة بحال من يطوف بمكان، بجامع الإحاطة في كل ، ثم استعير التركيب الدال علي المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقد امتازت هذه الاستعارة بحسن التصوير والتركيب، وقد زادها جمالا مراعاة حسن التشبيه الذي بنيت عليه، فهي مبنية علي تشبيه قد روعيت فيه الدقة ؛ لإنها مبنية علي تشبيه تمثيلي والتشبيه التمثيلي في أعلي مراتب التشبيه لاحتياجه إلي الطاف الروية ، وإعمال الفكر، وتحريك الذهن .

"ومراعاة حسن التشبيه الذي تبني عليه الاستعارة في القرآن الكريم من إحدي الخصائص الفنية التي جعلت الاستعارة في القرآن الكريم تتربع علي عرش الجمال وتمتطي صهوة الحسن والكمال"[٢]

هذا وقد زاد هذا الجمال جمالا هذا الجناس الاشتقاقي أو ما يلحق به ؛ للاتفاق في أصل المعني بين طاف وطائف.

---

(١) ينظر : المصدر السابق الصفحة نفسها .
(٢) بحوث في البيان ص٩٨.

فهذا الجناس معجز في تحقيقه للغرض المطلوب ومعجز في نظمه ومعجز في اختيار لفظه فلو وضع أمر أو عذاب ربك مكان طائف لما أدي ما أداه طائف ، من زيادة تأكيد المعني المطلوب ، وهو أن هذا الطائف قد أحاط بتلك الجنة من جميع جوانبها .

وقد عطفت هذه الجملة بالفاء الدالة علي السرعة والحسم السريع لتلك القضية بلا تراخ زمني .

"من ربك " أي مبتدئ من جهته عز وجل، ف "من" للابتداء ، وهو متعلق ب" طاف " أو بمحذوف صفة لطائف تقديره آت.

والتقييد بكونه من الرب ﷻ لإفادة أنه بلاء لا قبل لأحد من الخلق بدفعه .

وقد نزل بها هذا الطائف ليلا حالة كونهم نائمين ، وأفاد التقييد بقوله تعالي " وهم نائمون " تصوير حالهم .

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أي أصبحت تشبه البستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء، وقيل : إنها أصبحت تشبه الليل لأنه يقال له الصريم لسواده.

يقول الفخر الرازي – رحمه الله : " واعلم أن الصريم فعيل فيحتمل أن يكون بمعني المفعول، وأن يكون بمعني الفاعل وهنا احتمالات :

أحدها : أنها لما احترقت كانتْ شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر، وإن حصل الاختلاف في أمور أخر، فإن الأشجار إذا

احترقت فإنها لا تشبه الأشجار التي قطعت ثمارها إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه لكن المشابهة في هلاك الثمر صالحة .

وثانيها : أنها صرم عنها الخير فليس فيها شيء.

وعلي هذين الوجهين الصريم بمعني المصروم .

وثالثها : الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال ، وجمعه الصرائم ، وعلي هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال ، وهي لا تنبت شيئاً ينتفع به .

ورابعها : الصبح يسمي صريماً ، لأنه انصرم من الليل ، والمعني أن تلك الجنة يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم : بيض الإناء إذا فرغه .

وخامسها : أنها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم والليل يسمي صريما وكذا النهار يسمي أيضا صريماً لأن كل واحد منهما ينصرم بالأخر، وعلي هذا الصريم بمعني الصارم[١]

هذا ولكثرة معاني هذه الكلمة وصلاحية تلك المعاني لأن تراد في الآية أوثرت علي غيرها .

وقد أفاد هذا الجناس تهويل الحدث وتصوير شدة وقعه عليهم.

---

(١) التفسير الكبير ح٣٠ ص ٨٨.

هذا وقد " عجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة ،لأن عزمهم علي المنع وتقاسمهم عليه حقق أنهم مانعون صدقاتهم ، فكانوا مانعين ويؤخذ من الآية موعظة للذين لا يواسون بأموالهم ، وإذ كان عقاب أصحاب هذه الجنة دنيويا لم يكن في الآية ما يدل علي أن أصحاب الجنة منعوا صدقة واجبة " (١)

(١) تفسير التحرير والتنوير ح ٩ ص٨٢.

**الفقـــرة الثالثـــة :**

ثم يصور المولي- سبحانه وتعالي- إحساساتهم وحركاتهم وقد خرجوا لينفذوا ما عزموا عليه من سوء فيقـول : ﴿ فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ ﴾ الفاء للتفريع علي قوله تعالي ﴿ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ و"مصبحين " حال من فاعل تنادوا وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح .

إي فلما أصبحوا نادي بعضهم بعضا لأنجاز ما بيتوا عليه أمرهم .

وهذا التنادي مشعر بالتحريض علي الغدو إلي جنتهم مبكرين.

﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ يجوز أن تكون " أن " مصدرية أي تنادوا بهذا الكلام

ويجوز أن تكون مفسرة لسبقها بما فيه معني القول دون حروفه وهو النداء.

والغدو : الخروج ومغادرة المكان في غدوة النهار أي أوله[١]

والنكتة في التعبير بـــ " علي " دون " إلي " هي إفادة تمكن الوصول إليه، كأنه قيل اغدوا تكونوا علي حرثكم أي مستقرين عليه

(١) تفسير التحرير والتنوير ح ٩ ص ٨٣.

يقول الزمخشري : " فإن قلت : هلا قيل اغدوا إلي حرثكم وما معني "علي " ؟ قلت : لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول : غدا عليهم العدو"[١]

وعليه تكون الآية الكريمة من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه المولي - عز وجل- حالة غدوهم إلي جنتهم لقطع ثمارها بحالة غدو الجيش للغارة علي شيء بجامع الاستيلاء والاستعلاء في كل ، ثم استعير التركيب الدال علي المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقيل إن الغدو ضمن معني الإقبال كقولهم : يغدي عليهم بالجفنة ويراح[٢]

أي فأقبلوا علي حرثكم باكرين

والحرث شق الأرض بحديده ونحوها ليوضع فيها الزريعة أو الشجرة وليزال منها العشب .

وأطلق- هنا- علي الجنة لأنهم يتعاهدونها بالحرث لإصلاح شجرها[٣] .

" إن كنتم صارمين " إن شرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره فاغدوا أي إن كنتم قاصدين للصرم وقطع الثمار فاغدوا.

---

(١) الكشاف ح ٤ ص ١٤٤ .
(٢) الدر المصون ح ١٠ ص ٤١١ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ح ٢٩ ص ٨٣ .

وقيل المراد إن كنتم أهل عزم وإقدام علي رأيكم من قولهم سيف صارم ، فهو ليس شرط تعليق وإنما هو مستعمل في الاستبطاء فكأنهم لإبطاء بعضهم في الغدو قد عدل عن الجذاذ ذلك اليوم ، ومنه قول عبد الله بن عمر للحجاج عند زوال عرفة يحرضه علي التهجير بالرواح إلي الموقف : " الرواح إن كنت تريد السنة "[١]

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أي يتسارون فيما بينهم بطريق المخافتة .

والتخافت : تفاعل من خفت إذا أسر الكلام ،وخفي بفتح الفاء، وخفت وخفد ثلاثتها في معني الكتم ، ومنه الخفدود للخفاش ، والخفود للناقة التي تلقي ولدها قبل أن يستبين خلقه[٢]

وجمله " وهم يتخافتون " حالية من فاعل انطلقوا

﴿ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ جملة تفسيريه لجملة "يتخافتون " لأنه أي : التخافت فيه معني القول دون حروفه.

وقيل: إن "أن" مصدرية أي يتخافتون بهذا الكلام أي : يقول بعضهم لبعض .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٣٠.
(٢) روح المعاني ح٢٩ ص ٣١.

وقرأ ابن مسعود بطرحها إما علي إضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها ، وإما علي إجراء يتخافتون مجراه[١] وهذا يؤيد كون "أن" مفسرة .

وأكد فعل النهي " لا يدخلنها " بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه .

وفي إسناده إلي " مسكين " كناية عن نهي بعضهم بعضا عن دخول المسكين إلي جنتهم، أي : لا يترك أحد مسكيناً يدخلها ، كقولهم : لا أعرفنك تفعل كذا، لا أرينك ههنا .

﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ جملة في موضع الحال بتقدير قد ، لأن الماضي لا يقع حالا إلا مع قد ظاهرة أو مقدرة[٢] حتى تقرب الماضي من زمن الحال أي انطلقوا في حال كونهم غادين قادرين علي حرد .

وذكر الفعل " غدوا " في جملة الحال لقصد التعجب من ذلك الغدو النجس .

والحرد فيه أقوال كثيرة[٣] نذكر منها ما يلي :

---

(١) ينظر : روح المعاني ح ٢٩ ص ٣١الدر المصون ح١٠ ص ٤١٢ .

(٢) ينظر شرح الأشموني ح ٢ ص ٦٠٩، ٦١٠ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ح ٣٠ ص ٨٩ ، روح المعاني ح ٢٩ ص ٣١، التحرير والتنوير ح٢٩ ص ٨٤ ، ٨٥ ، الـدر المصون ح ١٠ ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

١ - الحرد المنع يقال حاردت السنة إذا قل مطرها ، ومنعت ريعها ، وحاردت الناقة إذا منعت لبنها فقل اللبن.

والمعني : أنهم عزموا علي منع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرون علي نفعهم ، فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا علي المنع والحرمان ، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان.

أو غدوا علي محا ردة جنتهم، وذهاب خيرها، بدل كونهم قادرين علي إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين علي حرمان أنفسهم مكان كونهم قادرين علي الانتفاع .

والحصر علي الأول حقيقي ، وعلي هذا إضافي بالنسبة إلي انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم

٢- الحرد والحرد والتحريك أكثر الغضب والحنق ومنه قول الأعرج:

إذ جياد الخيل جاءت تردي مملوءة من غضب وحرد[١]

أي لم يقدروا إلا علي الغضب والحنق، ولم يقدروا علي ما أرادوا من اجتناء ثمر الجنة .

وإنما سمي الغضب بالحرد لأنه كالمانع من أن يدخل المغضوب منه في الوجود .

---

(١) ينظر : اللسان مادة " حرد " .

وعليه يتعلق الجار والمجرور بـــ" قادرين " وقدم عليه لإفادة الحصر الحقيقي ، أو الإضافي بالنسبة إلي انتفاعهم من جنتهم، ولرعاية الفواصل.

٣- الحرد القصد والسرعة يقال : حرد يحرد حردك أي قصد قصدك ، ومنه قول الشاعر:

أقبل سيل جاء من أمر الله بجرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد أي سراع .

والمعني أنهم غدوا قاصدين إلي جنتهم بسرعة ونشاط ، قادرين عند أنفسهم علي صرامها ومنع منفعتها عن المساكين .

وعليه يكون " علي حرد " متعلقا ب " غدوا " مبينا لنوع الغدو، أي غدوا غدو سرعة واعتناء ، وتكون " علي " بمعني باء المصاحبة .

والمعني غدوا بسرعة ونشاط ، ويكون " قادرين " حالا من ضمير " غدوا " حالا مقدرة أي مقدرين أنهم قادرون علي تحقيق ما أرادوا.

وفي الكلام تعريض بأنهم خابوا . دل علية قوله بعده " فلما رأوها قالوا إنا لضالون " وقوله قبله " فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون"

٤- الحرد والحرد : الانفراد يقال : حرد بالفتح يحرد بالضم حروداً وحرداً انعزل ومنه كوكب حارد أي منفرد ، وحرد الرجل عن قومه إذا تنحي عنهم ونزل منفرداً.

والمعني : وغدوا إلي جنتهم منفردين عن المساكين ، ليس أحد منهم معهم قادرين علي صرامها .

هذا وفي إيثار كلمة " حرد " في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعني ، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معني من معانيه كما رأينا.

" قادرين " حال من فاعل غدوا ، وهو إما من القدرة وهو الظاهر وإما من التقدير وهو التضييق أي مضيقين علي المساكين

وفي التعبير بقادرين دون حادرين تهكم " لأن شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق علي الناس إتيانها قال تعالي: ﴿ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ (١) وقال ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾(٢) فقوله ﴿ عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ علي هذا الاحتمال من باب قولهم " فلان لا يملك إلا الحرمان أولا يقدر إلا علي الخيبة"(٣)

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٢٦٤ .
(٢) سورة القيامة الآية ٤ .
(٣) تفسير : التحرير والتنوير ح٢٩ ص ٨٤.

**الفقـــرة الرابعـــــة :**

ثم صور المولي سبحانه وتعالي ــ حالهم تصويرا بديعا عندما شاهدوا جنتهم وقد صارت كالصريم فقال: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أي فلما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد ضلوا الطريق، فقالوا:" إنا لضالون " ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا :" بل نحن محرومون"حرمنا خيرها بشؤم عزمنا علي البخل ومنع الفقراء.

ويحتمل إن يراد بالضلال – هنا – الضلال عن الدين ؛ لأن منع حق الله نوع من الضلال ، أي : أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا: " إنا لضالون " حيث كنا عازمين علي منع الفقراء، وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين علي الانتفاع بها ، بل الأمر انقلب علينا فصرنا نحن المحرومين.

وإسناد هذه المقالة إلي ضمير أصحاب الجنة يقتضي أنهم قالوا جميعا أي اتفقوا علي إدراك سبب ما أصابهم.

وأكدوا كلامهم؛ لتنزل أنفسهم منزله من يشك في أنهم ضالون طريق الخير؛ لقرب عهدهم بالغفلة عن ضلالهم ،ففيه إيذان بالتحسر والتندم .

هذا وقد أفادت "لما"– هنا – اقتران جوابها بشرطها بالفور والبداهة، والمقصود من هذا التعريض للمشركين بأن يكون حالهم في تدارك أمرهم ، وسرعة إنا بتهم ، كحال أصحاب هذه الجنة،إذ بادروا بالندم وسألوا الله عوض خير[1].

---

(١) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ح٢٩ ص ٨٥.

ولما تأملوا ووقفوا علي حقيقة ما آلت إليه جنتهم ، اعترفوا بالحقيقة المرة ، واضربوا عن قولهم الأول :" إنا لضالون " وقالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ حرمنا خيرها بجنا يتنا علي أنفسنا.

و"بل" حرف ابتداء دال علي الإضراب.

والغرض من الإضراب هنا أما أن يكون الانتقال من غرض إلي غرض أهم مع إبقاء الحكم السابق علي حاله ،وعدم إلغاء ما يقتضيه، فهم قد انتقلوا من الحديث عن ضلالهم إذ بيتوا حرمان المساكين من فضول ثمرتهم إلي غرض أهم وهو الحديث عن حرمانهم هم من جميع ثمار جنتهم ، فالحرمان الأعظم قد أختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم .

وقد دل علي ذلك تقديم المسند إليه والإتيان به ضميرا بارزاً مع أن مقتضي الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً، وقد أفاد هذا التقديم قصر الحرمان عليهم وهو من القصر الإضافي .

يقول الطاهر بن عاشور :" والكلام يفيد ذلك إما بطريق تقديم المسند إليه بأن أتي به ضميراَ بارزاً مع أن مقتض الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول مقدراً مؤخراً عنه لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحمله ، فلما أبرز الضمير، وقدم كان تقديمه مؤذناً بمعني الاختصاص أي القصر وهو قصر إضافي ، وهذا من مستتبعات التراكيب والتعويل علي القرائن[1].

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٦ .

وإما أن يكون الغرض من الأضراب هنا الأبطال وهو ما يقتضي نفي الحكم السابق ، والقطع بأنه غير واقع كما في قوله تعالي : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ (١) فهم قد أبطلوا أن يكونوا ضلوا طريق جنتهم ، وأثبتوا أنها هي ولكنهم حرموا خيرها بإتلاف الله لها .

" قَالَ أَوْسَطُهُمْ " أي أفضلهم وأرجحهم عقلاً ورأياً.

والوسط : يطلق علي الأخير الأفضل، قال تعالي :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾(٢) وقال : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾(٣) ويقال: هو من سطة قومه ، وأعطني من سطة مالك.

وقد فصلت هذه الجملة عن سابقتها لما بينهما من شبه كمال الاتصال ؛ لقوة صلة الجملة الثانية بالأولي ؛ لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم منها ، فكأنه قيل : لم نحن محرومون ؟ فقال أوسطهم لأنكم لم تسبحوا ربكم .

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ والغرض من الاستفهام هنا هو التقرير أي تقريرهم بوعظه لهم ، " ولولا "حرف تحضيض بمعني هلا .

والمراد بـــ" تسبحون " تنزيه الله عن أن يعصي أمره في شأن إعطاء زكاة ثمارهم(١).

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٦ .
(٢) سورة البقرة جزء من الآية ١٤٣
(٣) سورة البقرة جزء من الآية ٢٣٨

وقبل المراد به الاستثناء أي تقولوا : إن شاء الله لأن الله تعالي إنما عابهم بأنهم لا يستثنون ، وسمي الاستثناء تسبيحاً ، لأن التسبيح معناه تنزيه الله عن كل سوء ، فلو دخل شيء في الوجود علي خلاف إرادة الله لكان ذلك يوجب عودة نقص إلي قدرة الله ، فقولك : إن شاء الله يزيل هذا النقص ، فكان ذلك تسبيحاً .

ولفظ القرآن يدل علي أن القوم كانوا يحلفون ويتركون الاستثناء وكان أوسطهم ينهاهم عن ترك الاستثناء ويخوفهم من عذاب الله ، فلهذا حكي عن ذلك الأوسط أنه قال بعد وقوع الواقعة: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ .

وقيل المراد به الصلاة ، كأنهم كانوا يتكاسلون عن الصلاة ، وإلا لكانت ناهية لهم عن الفحشاء والمنكر ، ولكانت داعية لهم إلي أن يواظبوا علي ذكر الله وعلي قول إن شاء الله [٢] .

فأجابوه مقرين بوعظه لهم وعصيناهم وعدم أخذهم بالنصيحة فـ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ وفصلت هذه الجملة عن سابقتها لما بينهما من شبه كمال الاتصال ، لوقوعها جواباً عن سؤال نشأ من الأولي تقديره فماذا قالوا له حينما أراد تقريرهم بوعظه لهم .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ص ٢٩ ص ٨٦ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٩٠ .

وجملة " إنا كنا ظالمين " إقرار بالذنب ، وأكدت هذه الجملة لتحقيق الإقرار بتسبيح الله عن أن يعصي أمره في إعطاء حق المساكين والاهتمام به .

وأفادت " إن " مع هذا التأكيد تعليل التسبيح .

وحذف مفعول " ظالمين " لإفادة العموم ، أي ليعم ظلمهم أنفسهم بما جروه عليها من سلب النعمة ، وظلم المساكين بمنعهم من حقهم في المال .

**الفقـــرة الخامســـة :-**

ثم صور سبحانه ما دار بينهم بعد أن أيقنوا أن جنتهم قد دمرت فقال :

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾ الإقبال : حقيقته المجيء إلي الغير من جهة وجهه ، وهو مشتق من القُبُل ، وهو ما يبدوا من الإنسان من جهة وجهه ، ضد الإدبار ، وهو هنا تمثيل لحال العناية باللوم .

واللوم : إنكار متوسط علي فعل أو قول ، وهو دون التوبيخ وفوق العتاب.

وقد صورت هذه الآية الكريمة هذه الحالة والتقانف الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز ، ألا تري أن إقبال بعضهم علي بعض يصور حالة تشبه المهاجمة والتقريع ، وأن صيغة التلاوم مع حذف متعلق التلاوم ، تصور في ذهن السامع صوراً من لوم بعضهم علي بعض .

وقد تلقي كل واحد منهم لوم غيره عليه بإحقاق نفسه بالملامة وإشراك بقيتهم فيها ، فقال كل واحد منهم ﴿ وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ وأسند هذا القول إلي جميعهم لذلك[1] .

والطغيان : تجاوز الحد المتعارف في الكبر والتعاظم .

والمعني : إنا كنا طاغين علي حدود الله .

---

(١) نظر : تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٧،٨٨ .

وفصلت هذه الجملة ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ عن سابقتها لما بينهما من كمال الاتصال ، فهي بيان للأولي والبيان بمنزلة المبين فلا يعطف عليه ، كما في قوله تعالي :﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ (١)

أي يلوم بعضهم بعضاً بهذا الكلام ، " فتكون خبراً مستعملاً في التقريع علي طريقة التعريض بغيره والإقرار علي نفسه ، مع التحسر والتندم بما أقاده "يا ويلنا" وذلك كلام جامع للملامة كلها(٢).

ويجوز أن يكون سبب الفصل هنا هو ما بين الجملتين من شبه كمال الاتصال، لوقوع الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولي، فكأنه قيل ، بم يلوم بعضهم بعضاً فقال " قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ". فكما أجمعوا علي لوم بعضهم بعضاً ، كذلك أجمعوا علي إجابة بعضهم بعضاً عن ذلك الملام .

ثم رجوا الله أن يعطيهم بدلاً من هذه الجنة - ببركة توبتهم واعترافهم بالخطيئة - خيراً منها ، إنهم راجون عفوه فقالوا : ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾

وفصلت جملة " إنا إلي ربنا راغبون " عن جملة الرجاء لما بينهما من كمال الاتصال ، فهي بدل اشتمال من جمله الرجاء ، أي: هو رجاء مشتمل علي رغبة إليه بالقبول والاستجابة .

---

(١) سورة طه جزء من الآية ١٢٠ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٧ .

وأكدت هذه الجملة للاهتمام بهذا التوجيه . " وإلي " لانتهاء الرغبة ، أو لتضمينها معني الرجوع .

والمقصود من الأطناب في قولهم بعد حلول العذاب ، بهم تلقين الذين ضرب لهم هذا المثل ، بأن في مكنتهم الإنابة إلي الله بنبذ الكفران لنعمته ، إذ أشركوا به من لا إنعام لهم عليه.

وروي عن ابن مسعود – ﷺ – أنه قال : بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق ، فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان ذات عنب يحمل العنقود الواحد منه علي بغل.

وعن أبي خالد اليماني أنه قال : دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم[1]

ثم ختم سبحانه قصتهم فقال:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جملة استئنافية قدم فيها المسند إليه لإفادة القصر ، وللاهتمام بإحضار تلك الصورة العجيبة في ذهن السامع والمشار إليه – هنا – هو ما تضمنته القصة .

وأل في "العذاب" للجنس ، وفي هذا التعريف توجيه بالعهد الذهني ، أي مثل ذلك العذاب عذاب الدنيا ، أما عذاب الآخرة فأكبر .

---

(١) ينظر : روح المعني ص ٢٩ ص ٨٢ ، التحرير والتنوير ص ٢٩ ص ٨٨ ، ٨٩ .

والمماثلة بين المشبه والمشبه به مماثلة في النوع ، وإلا فإن ما يوعد به أهل مكة من القحط أشد مما أصاب أصحاب الجنة وأطول .

﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أي أعظم وأشد ، تحذير عن العناد بوجه أبلغ .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ نعي عليهم بالغفلة ، أي لو كانوا من أهل العلم لعلموا أنه أكبر ، ولأخذوا منه حذرهم .

والضمير في قوله تعالي : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ عائد إلي المشركين لأنهم كانوا ينكرون عذاب الآخرة ، فهددوا بعذاب الدنيا، ولا يصح عودته إلي أصحاب الجنة لأنهم كانوا مؤمنين بعذاب الآخرة وشدته .

## الخاتمة

الحمد لله في مبدأ الأمر ومنتهاه ، والصلاة والسلام علي حبيبه ومصطفاه

وبعد ،،،

فقد حاولت – قدر استطاعتي – أن أظهر البلاغة القرآنية في قصتي أصحاب الجنات ، وبمراجعة هذه الدراسة يتبين لنا مايلي :

**١- أن كلتا القصتين اشتملتا علي كثير من الفنون البلاغية موزعة علي علوم البلاغة الثلاثة .**

ففي قصة صاحب الجنتين نجد من علم المعاني

القصر في قوله تعالي : " لكنا هو الله ربي " ، وفي قوله تعالي : " لا قوة إلا بالله " وفي قوله تعالي : " الولاية لله الحق " .

والفصل بين قوله تعالي: ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ وقوله تعالي :﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ .

وبين قوله تعالي : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ ، وقوله تعالي : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

والوصل بين قوله تعالي : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ وقوله تعالي : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ .

وبين قوله تعالي : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ وقوله تعالي: ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ .

وبين قوله تعالي : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ ﴾ وقوله تعالي : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ "﴾ .

والإيجاز في قوله تعالي : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ .

والتذييل في قوله تعالي : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ .

ونجد من علم المعاني :

التشبيه التمثيلي في قوله تعالي : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ .

والاستعارة التمثيلية في قوله تعالي : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ ، وفي قوله تعالي : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ .

والكناية في قوله تعالي : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ وفي قوله تعالي : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾ .

والتعريض في قوله تعالي : ﴿ وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ .

ونجد من علم البديع :

مراعاة الفاصلة في القصة بأكملها .

وفي قصة أصحاب الجنة نجد من علم المعاني :

القصر في قوله تعالي : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ وفي قوله تعالي : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ، وفي قوله تعالي : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

والفصل بين قوله تعالي : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ وقوله تعالي : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ .

وبين قوله تعالي : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ وقوله تعالي : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾

وبين قوله تعالي : ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ وقوله تعالي : ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا ﴾ .

والأطناب في قوله تعالي : ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ .

ونجد من علم البيان :

التشبيه التمثيلي في قوله تعالي : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ .

والتشبيه في قوله تعالي : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ وفي قوله تعالي : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

والاستعارة التمثيلية في قوله تعالي : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ وفي قوله تعالي : ﴿ فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ .أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ وفي قوله تعالي : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾

والتعريض في قوله تعالي : ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾

ونجد من علم البديع :

والجناس بين طاف وطائف في قوله تعالي : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ، وبين ليصرمنها والصريم .

والإدماج في قوله تعالي : ﴿ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾ .

ومراعاة الفاصلة .

إلي غير ذلك من الفنون البلاغية التي وردت في فنايه البحث

**٢- أن بين القصتين وشائج وعلاقات :**

فمن حيث الغرض نجد أن الغرض من القصتين واحد وهو العبرة والعظة .

ومن حيث الإحداث نجد أن القصتين بدأتا بضرب المثل فقصة صاحب الجنتين بدأت بقوله تعالي : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾

وقصة أصحاب الجنة بدأت بقوله تعالي : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ .

كما نجد أنهما اتحدتا في العاقبة أيضاً فصاحب الجنتين كانت عاقبته الدنيوية أن أحاط عذاب الله بجنتيه قال تعالي : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾

وأصحاب الجنة كانت عاقبتهم أيضاً أن أحاط عذاب الله بجنتهم فأصبحت كالليل المظلم قال تعالي : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾

إلي غير ذلك من وشائج وعلاقات .

والله الكريم أسأل أن يوفقني إلي خدمة كتابه الكريم ، وأن يرزقني الإخلاص ، وأن يهيئ لي أسباب المعرفة ، وأن يفيض علينا من علمه أنه سميع مجيب وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصل اللهم علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه أجمعين .

**د/ عبد الغفار يونس صديق**

مدرس البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين – بالقاهرة

# ثبت بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري طبعة مصطفي البابي الحلبي ، بدون تاريخ .

٢- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، طبعة محمد علي صبيح ١٩٧١م

٣- بحوث في البيان أ.د / محمود السيد شيخون ، طبعة مطبعة أسامة ١٩٨١م

٤- تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، طبعة دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م

٥- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، طبعه الدار التونسية ، بدون تاريخ .

٦- التفسير الكبير للفخر الرازي ، طبعة مطبعة عبد الرحمن محمد، الطبعة الأولي بدون تاريخ .

٧ - التفسير الوسيط د - محمد سيد طنطاوي طبعه دار المعارف ١٩٩٣م

٨- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، طبعه دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٠م

٩- حاشية الشهاب علي البيضاوي ، طبعه دار صادر بيروت ، بدون تاريخ

١٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، طبعه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ .

١١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، تحقيق د / أحمد محمد الخراط ، طبعة دار القلم دمشق ، الطبعة الأولي ١٩٩١ م .

١٢- ديوان أبي الطيب المتنبي – شرح عبد الرحمن البرقوقي ، نشر الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠م

١٣- ديوان الفرزدق ، تحقيق كرم البستاني ، طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ.

١٤- ديوان لبيد بن أبي ربيعه ، طبعه دار صادر بيروت بدون تاريخ .

١٥- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتحقيق كرم البستاني طبعه دار صادر بيروت بدون تاريخ .

١٦- ديوان الهذليين ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للالوسي طبعة إدارة الطباعة المنيرية بيروت لبنان بدون تاريخ .

١٨-شرح الاشموني علي ألفية ابن مالك ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م

١٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢م

٢٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوده التأويل للزمخشري ، طبعة مصطفي البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٦٦م

٢١- لسان العرب لابن منظور، تحقيق مجموعة من العلماء، طبعة دار المعارف، القاهرة.

٢٢- معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٢٣- مغني اللبيب لابن هشام، طبعة دار إحياء الكتب العربية (بدون تأريخ).